(الأدب العربي قديما وحديثا): المحاضرة العاشرة

السداسي الثاني

الشعر الوجداني الرومانسي

تعريفه، وظيفته، تاريخه في القديم والحديث، خصائصه، نماذج منه

1. مدخل

يُعدّ الشعر الوجداني الرومانسي أحد أبرز الاتجاهات التي شكّلت تحولاً نوعياً في تاريخ الأدب العربي الحديث؛ حيث لم يكن مجرد تيار شعري، بل كان ثورة على التقاليد الكلاسيكية الجامدة، وتعبيراً صادقاً عن الذات الإنسانية في مواجهة واقع اجتماعي وسياسي متأزم. اعتمد هذا الشعر على العاطفة والخيال والتجربة الشخصية، مما أعاد إلى الشعر العربي حيويته وغنائيته بعد عصر الإحياء والتقليد.

2. تعريفه

لغوياً :يشتق "الوجداني" من "الوجدان"، وهو الإدراك الداخلي والعاطفة الصادقة التي تسيطر على النفس (ضمير الإنسان وعواطفه). أما "الرومانسي" فيعود إلى "رومانيوس" أو "roman" (القصص الخيالية في العصور الوسطى الأوروبية)، ويشير إلى ما يثير العواطف والخيال .**اصطلاحاً** :الشعر الوجداني الرومانسي هو الشعر الغنائي الذي يعبر عن التجربة الذاتية للشاعر بصدق عاطفي عميق، بعيداً عن التصنع والتقليد. يركز على المشاعر الشخصية (الحب، الحزن، الشوق، اليأس)، والخيال المحلق، والتماهي مع الطبيعة كمرآة للنفس. يُعرف بأنه "الشعر الغنائي الصادر عن تجربة الشاعر المؤلمة، أو الشعر الذي تسيطر عليه العاطفة."

3. تاريخه

رغم أن مصطلح "الرومانسية" حديث، فإن الشعر الوجداني له جذور عميقة في الأدب العربي القديم؛ فقد كان هناك ما يشبهه تماماً في **الغزل العذري في** العصر الأموي، الذي يُعدّ أقرب أشكال الشعر

الوجداني الرومانسي. فهو حب عفيف طاهر، يعبر عن الشوق والألم والمعاناة الداخلية دون إباحية، ويُعبّر عن الذاتية والفرار إلى الخيال، من أمثلته؛ **قول مجنون ليلى (قيس بن الملوح)**:

أتوب إليك يا رحمن مما ... عملت فقد تظاهرت الذنوب
فأما من هوى ليلى وتركي... زِيارتَها فَإِنّي لا أَتوبُ
وكيف وعندها قلبي رهين ... أتوب إليك منها أو أنيب

وقول جميل بثينة (جميل بن معمر العذري):

اِرحَميني فَقَد بَليتُ فَحَسبي ... بَعضُ ذا الداءِ يا بُثَينَةُ حَسبي
لامَني فيكِ يا بُثَينَةُ صَحبي ... لا تَلوموا قَد أَقرَحَ الحُبُّ قَلبي
زَعَمَ الناسُ أَنَّ دائي طِبّي ... أَنتِ وَاللَهِ يا بُثَينَةُ طِبّي

ويُلاحظ النقاد أن هذا الغزل نشأ في عصر بني أمية، وامتدّ إلى العباسيين (كالشريف الرضي). هذا يؤكد استمرارية الوجدانية في الأدب العربي قبل تأثرها بالرومانسية الغربية. ونجد ما يشبه الرومانسية في أدب العرب القديم، متمثلا في استنطاق الطبيعة والأشياء، كالمفاخرة بين السيف والقلم، في كتاب المحاضرات والمحاورات لجلال الدين السيوطي؛ حيث يقول: "لما كان السيف والقلم عدّتي العمل والقول، وعمدتي الدول، فان عدمتهما دولة فلا حول .. فكّرت أيهما أعظم فخرا، وأعلى قدرا، فجلست لهما مجلس الحكم والفتوى .. واستنطقت لسان حالهما للكلام، فقال القلم: بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها.

4. تعريف الرومانسية

الرومانسية (Romanticism) مذهب أدبي أوروبي نشأ أواخر القرن الثامن عشر كرد فعل على الكلاسيكية (التي تعتمد العقل والتقليد) والثورة الصناعية. تعرف بأنها "مذهب أدبي يمثل رد فعل تجاه تعقيدات الكلاسيكية... نزوع ذاتي إلى استنطاق الأنا... مخاصمة للواقع ومصالحة للأحلام". أبرز سماتها: تقديم العاطفة على العقل، الخيال المحلق، التماهي مع الطبيعة، الفردية، الحرية، والتشاؤم أو الثورة على الواقع.

5. ظهور الرومانسية في الأدب العربي

دخلت الرومانسية الأدب العربي في مطلع القرن العشرين، متأثرة بالاحتكاك بالغرب (ترجمات، هجرة المهجر، الاستعمار). بدأت كنقد نظري في كتابي "الديوان" (العقاد والمازني، 1921) و"الغربال"

(ميخائيل نعيمة، 1922). ثم تجسدت في مدارس: الديوان، المهجر (الرابطة القلمية)، وأبوللو (1932). كان خليل مطران الرائد الانتقالي. انتهت مرحلتها الذهبية نهاية الحرب العالمية الثانية.

6. أشهر أعلام الرومانسية في الأدب العربي

خليل مطران (شاعر القطرين) (1872 - 1949) شاعر لبناني شهير عاش معظم حياته في مصر. عرف بغوصه في المعاني وجمعه بين الثقافة العربية والأجنبية، كما كان من كبار الكتاب عمل بالتاريخ والترجمة، يشبّه بالأخطل، كما شبهه المنفلوطي بابن الرومي. عرف مطران بغزارة علمه وإلمامه بالأدب الفرنسي والعربي، هذا بالإضافة لرقة طبعه ومسالمته وهو الشيء الذي انعكس على أشعاره، أُطلق عليه لقب شاعر القطرين ويقصد بهما مصر ولبنان، وبعد وفاة حافظ وشوقي أطلقوا عليه لقب (شاعر الأقطار العربية) دعا مطران إلى التجديد في الأدب والشعر العربي فكان أحد الرواد الذين اخرجوا الشعر العربي من أغراضه التقليدية والبدوية إلى أغراض حديثة تتناسب مع العصر، مع الحفاظ على أصول اللغة والتعبير، كما ادخل الشعر القصصي والتصويري للأدب العربي.

إيليا أبو ماضي (1889 - 1957) إيليا بن ضاهر أبو ماضي شاعر لبناني من أبرز شعراء المهجر، وعضو مؤسس في الرابطة القلمية. وُلد في قرية المحيدثة بلبنان، وهاجر إلى مصر عام 1900، حيث عمل في بيع السجائر وبدأ ينشر شعره في الصحف. أصدر أول دواوينه "تذكار الماضي" عام 1911. هاجر إلى الولايات المتحدة عام 1912 هربًا من مضايقات سياسية، وأقام أولًا في سينسيناتي ثم استقر في نيويورك، حيث أسس مجلة "السمير" عام 1929، التي أصبحت منبرًا لأدباء المهجر. كان متفائلًا بطبعه، يمجد الحياة والطبيعة، ويهتم بالقيم الإنسانية. تأثر بمدرسة جبران خليل جبران، وكتب بأسلوب شاعري مميز يمزج بين البساطة والعمق. من أشهر دواوينه: الجداول الخمائل تذكار الماضي تبر وتراب ومن أشهر قصائده: "كن جميلاً ترى الوجود جميلاً" – قصيدة تُعبّر عن فلسفته في التفاؤل. زار لبنان في أواخر حياته وكرّمته الحكومة اللبنانية، ثم توفي عام 1957 في نيويورك بسكتة قلبية.

أحمد زكي أبو شادي: شاعِرٌ وطَبِيبٌ مِصري، وعَلَمٌ من أَعلامِ مَدرسةِ المَهجَرِ الشِّعريَّة، ورائِدُ حَركةِ التَّجديدِ في الشِّعرِ العربيّ الحَدِيث، وإليه يُعزَى تَأسيسُ مَدرسةِ «أَبولُّو» الشِّعريةِ التي ضَمَّتْ شُعراءَ الرُّومانسيَّةِ في العَصرِ الحدِيث. خلَّفَ للميدانِ الأدبيّ إِرثًا أدبيًّا ضَخمًا، وصدرَ لهُ عددٌ كبيرٌ مِنَ الدَّواوِين،

مِنها: «الشَّفَق الباكِي»، و«أَشِعة الظِّلال»، و«فوقَ العُباب». ولهُ مُؤلَّفاتٌ مَسرحيةٌ تَمثيلية، مِنها: «مَسْرحية الآلِهة»، و«إخناتون»، و«فِرعَون مِصر». وقدْ وافَتْه المَنِيَّةُ في واشنطن عامَ 1955.

ومنهم أيضا: علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، وصالح جودت، وعمر أبو ريشة، وأبو القاسم الشابي، ذو الرومانسية الثورية. وهو: ***أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي***. شاعر تونسي. ولد في قرية (الشابيّة) من ضواحي توزر (عاصمة الواحات التونسية في الجنوب) وقرأ العربية بالمعهد الزيتوني (بتونس) وتخرج بمدرسة الحقوق التونسية، وعلت شهرته، ومات شاباً، بمرض الصدر، ودفن في روضة الشابي بقريته. له (ديوان شعر) وكتاب (الخيال الشعري عند العرب) توفي سنة 1929. امتاز شعره بتوظيف الطبيعة، والثورة على الاحتلال، جمع وجدانه حزن جسده العليل، ووطنه المحتل، فكان ثورة على كل ذلك.

7. الخصائص الفنية للشعر الوجداني الرومانسي

- **الذاتية والعاطفة** :تعبير صادق عن الـ"أنا" والألم الشخصي.
- **الفرار من الواقع إلى الطبيعة** :الطبيعة مرآة للنفس (مناجاة، تشخيص).
- **الخيال المحلق والإيحاء** :لغة حية رقيقة، صور شعرية نابضة.
- **الغنائية والوحدة العضوية** :وحدة المقطع والجو النفسي.
- **التمرد والحرية** :رفض الأشكال التقليدية، إيقاع موسيقي.
- **الكآبة والمثالية** :الحب العذري، الشك، البحث عن المطلق.

8. نماذج مختارة

1/ (المساء) خليل مطران، نموذج كلاسيكي للوجدانية:

داءٌ ألَمَّ فَخِلْتُ فِيهِ شَفَائِي ... مِنْ صَبْوَتِي فَتَضَاعَفَتْ بُرَحَائِي
يَا لَلضَّعِيفَيْنِ اسْتَبَدَّا بِي وَمَا ... فِي الظُّلْمِ مِثْلُ تَحَكُّمِ الضُّعَفَاءِ
قَلْبٌ أَذَابَتْهُ الصَّبَابَةُ وَالْجَوَى ... وَغِلاَلَةٌ رَثَّتْ مِنِ الأَدْوَاءِ
وَالرُّوْحُ بَيْنَهُمَا نَسِيمُ تَنَهُّدٍ ... فِي حَالَيَ التَّصْوِيبِ والصُّعَدَاءِ
وَالعَقْلُ كَالمِصْبَاحِ يَغْشَى نُورَهُ ... كَدَرِي وَيُضْعِفُهُ نُضُوبُ دِمَائِي
هَذَا الَّذِي أَبْقَيْتِهِ يَا مُنْيَتِي ... مِنْ أَضْلُعِي وَحَشَاشَتِي وَذَكَائِي

2/ (الملاح التائه) **علي محمود طه، من** قصائد الحب والطبيعة:

أيها الملَّاحُ قمْ واطوِ الشراعا ... لِمَ نطوي لُجَّةَ الليل سراعَا
جَدِّفِ الآن بنا في هينةٍ ... وجهة الشاطئ سيرًا واتباعَا
فغدًا يا صاحبي تأخذنا ... موجةُ الأيام قذفًا واندفاعَا
عبثًا تقفوا خُطى الماضي الذي ... خِلْتَ أنَّ البحرَ واراهُ ابتلاعَا

3/ (إلى الشعراء) أبو القاسم الشابي، رومانسية ثورية وجدانية:

إِذا الشَّعْبُ يوماً أرادَ الحياةَ ... فلا بُدَّ أنْ يَسْتَجيبَ القدرْ
ولا بُدَّ للَّيْلِ أنْ ينجلي ... ولا بُدَّ للقيدِ أن يَنْكَسِرْ
ومَن لم يعانقْهُ شَوْقُ الحياةِ ... تَبَخَّرَ في جَوِّها واندَثَرْ
كذلك قالتْ ليَ الكائناتُ... وحدَّثَني روحُها المُستَتِرْ
ودَمْدَمَتِ الرِّيحُ بَيْنَ الفِجاجِ ... وفوقَ الجبالِ وتحتَ الشَّجرْ
إِذا مَا طَمحْتُ إلى غايةٍ ... رَكِبتُ المنى ونَسيتُ الحَذرْ
ومن لا يحبُّ صُعودَ الجبالِ ... يَعِشْ أبَدَ الدَّهرِ بَيْنَ الحُفَرْ
وأطرقتُ أُصغي لقصفِ الرُّعودِ ... وعزفِ الرّياحِ وَوَقْعِ المَطَرْ
وقالتْ ليَ الأَرضُ لما سألتُ ... أيا أمُّ هل تكرهينَ البَشَرْ
أُباركُ في النَّاسِ أهلَ الطُّموحِ ... ومَن يَسْتَلِذُّ ركوبَ الخطرْ

5. الخاتمة

في الخاتمة، يُعد الشعر الوجداني الرومانسي حلقة وصل بين التراث العذري القديم والحداثة العربية. أثر في تجديد الشعر، وأغنى التعبير العاطفي، ومهد للحداثة (التفعيلة والرمزية). نتائجه: تحرير الشعر من الجامد، إبراز الفردية، وتعزيز الوعي الإنساني. خلاصة: "الشعر الرومانسي .. ثورة على التقاليد... ودعوة للحرية والعاطفة."